



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي



قسم اللغة والأدب العربي

كلية الآداب واللغات

شعر المنفى: دراسة موضوعية فنية

من خلال قصيد آلام الاغتراب للبارودي

"هل من طيب لداء الحب أو راقٍ؟"

مذكرة تخرج تدخل ضمن متطلبات نيل شهادة ليسانس في اللغة والأدب العربي

ميدان: دراسات أدبية، تخصص: أدب عربي

إشراف الأستاذ:

* - مشاركة حسين

إعداد الطلبة:

* بليسة علي

* بوزقاق أسامة

* ديدة لخضر

* مصباحي عبد القادر

الموسم الجامعي: 2020/2019م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شُكْرُهُ وَعِرْفَانُهُ

عبارات الشكر والامتنان لا تسعها هذه الأسطر الشحيحة ولكنه أقل
الواجب لأهل الفضل.

نشكر الله عز وجل أولاً على توفيقه وامتنانه أن بلغنا هذا المقام، ويا
له من فضل خصنا به أن جعلنا من أهل العلم

نشكر كل من له فضل علينا من والدينا وأهلينا إلى كل من علمنا
حرفاً أو سهل لنا درباً أو منع عنا ضراً في سبيل طلب العلم

نشكر أستاذنا المشرف على رعايته وتوجيهه ونسأل الله الخير والأمان
لهذه البلاد وأهلها.

إلى كل من دعا لنا في سره وعلايته، إلى كل من فرح لنا بقلبه، إلى
كل من له ذرة فضل في هذا العمل المتواضع نقول له:

شكراً بحجم السماء

مقدمة

الشعر عند العرب نَفْسٌ للكائن وروحٌ للجسد، فلا حياة من دون شعر، فهو مُتَنَفِّسُ الخُلوةِ ورفيق الدرب، أنيس الوحشة وصدیق الوحدة، صاحب المكان وعشيق الزمان في الحِلِّ والترحال.. فالأمة العربية أُمُّ الشعر بامتياز " إذ لا تُصاوِلها أمة ولا يُباريها شعب في هذا اللقب، لبلوغه مبالغ سامية، ومراتب عُليا، وشأواً لا تُنَارَع فيه. فشان الشعر عند العرب شأن الآلهة والمقدسات أو يفوق، لذلك كانت دَفَعته قوياً قوّة الجاهلية، فيتغذّى على "العصبية القبلية" -التي انتفى بسببها الصعاليك- والبطولة والشجاعة.. مروراً بشعر الفتوح والمغازي والشهادة، ليصل العصر العباسي فيزداد التيار الجارف قوّةً بعامل روافد الثقافات المختلفة، فكان الشعر يتسيّد الحياة بتزاحمه على السنة فحول الشعراء. وقد جاد كل عهد بما فيه؛ فتأملّ وحكمة، أو غزل ورتاء، أو وصف وطبيعة ورحلة، أو حرب وخيل، أو بطولة وثأر وصفح، أو قصة وحوار.. ولم نُسجَل شعراً صريحاً عن المنفى بمعناه الحديث. بعد قرون من تربيته على ذروة العطاء والسّيادة؛ ركبت مياه الوادي وتعكّر صفوها لعهود لا تقلّ عن عهود المجد والعزّة، لكنّها لم تنزخ وظلت صامدة تنتظر من يُعيد لها دَفَقها، فمَعين الشعر لم ينضب وقرائح الشعراء لم تجفّ.

يأتي على البيئة العربية تبدّل في الدهور وتقلّب في الأزمان، وترعّم العبيد وتقهقر السادة، حتى نصل إلى مشارف العصر الحديث، ليخرج علينا الأدب عامة والشعر خاصة مُنْهَكَ القوي خاوي العُرى، شاحب الوجه ضامر العضلات.

لم يكن العصر الحديث أوفر حظاً من سابقه، لتبقى المصائب تلاحق العرب وتُلازمهم؛ فاحتلالاً أو حماية أو وصاية.. رغم كل هذا فهدير الشعر القديم ظل صداه يتردد، وسفينته التي انطلقت قبل دُهور مازالت تُبحر وتمخر عباب الزمن، وشعاعه المُلتهب الآتي من تلك البيئة السحيقة تبدّى نوره لكل مَنْ ينتظر، تلقّف شاب هاته الإشارات بتعطّش وتلهّف شديدين وراح يوقظ المارد النائم الذي طال سُباته، فصنع أدباً تقرّد به وهو أدب البعث والإحياء، ثم انطلق في رحلة التجديد مع شعر المنفى والاعتراب، الذي يُعتبر لوناً جديداً وغرضاً مستحدثاً في الشعر العربي الحديث. أدب الألم والبحث عن الذات، أدب الحزن ومحاورة النفس، أدب الشوق والحنين وإعادة الهوية المُستلبّة.

أهمية الموضوع: للموضوع المطروح أهمية بالغة، فشعر المنفى بالذات موضوع حسّاس جداً، فلا يقبل الدراسة العابرة ولا الأقلام الباهتة، لأنه ليس شعر تشبيب وتغزل، أو تسلية ومناسبات، أو تكسب وهوى.. بل هو شعر النفس المُتعبّة والذات المكظومة، شعر البُعد والهجرة، شعر التشتت والفراق، وهذا لارتباط

المنفى بالإنسان العربي في العصر الحديث. من هذا المنطلق وغيرها من النقاط الأخرى تتكوّن أهمية الموضوع.

كان الدافع الأول في اختيار الموضوع هو دراسة شعر المنفى وخوض غماره، والغوص في نفوس شعرائه، والتجوال بين آثارهم، والاستماع لهم عن قُرب، ومجاورتهم في مفاهيم، حتى يتسنى لنا معرفة ما كان يعتور هؤلاء من حُطوب ومِحْن. الأمر الثاني إحجام الطلبة عن دراسة مواضيع الشعر، ونُحْص بالذِّكر شعر المنفى وما يدور بقلبه.

أما الهدف من البحث فهو إعادة الاعتبار للدراسات الشعرية التي تزخر بمكنونات لا تنتهي، حيث أهملها الطلبة وأعرضوا عنها. إثراء المكتبة بدراسات عن المنفى والغربة نظراً لافتقارها لهذا اللون، التعريف بالمنفى موضوعاً وشِعراً، نشأة وتطوراً، جذوراً وحدائث. الطواف إيجازاً بالقارئ بين محطات الأدب العربي، حتى يتسنى له تكوين فكرة مُؤصل لها عن تاريخ الأدب وأبرز أغراضه وأنواعه؛ وصولاً إلى شعر المنفى والاعتراب حديثاً. بسطُ الرؤية أكثر وتقريب المسافة لمن يُريد تناول شعر المنفى لاحقاً.

وبعد هذه التوطئة والمدخل أن لنا أن نطرح إشكال البحث الرئيسي وبعض الإشكالات الفرعية، فنقول: ما مدى قوة تأثير المنفى على الشعراء المنفيين، والبارودي أنموذجاً؟ وما الذي ترتّب عن ذلك؟ ما المنفى عند الشاعر؟ كيف كان شعر المنفى عند البارودي؟ وما أبرز آثاره ومخلفاته؟ إلى أي حدّ وصل ضيم المنفى بالبارودي من خلال شعره؟

في إنجاز بحثنا هذا اتبعنا المنهج الوصفي التحليلي بمرافقة التاريخ. واتبعنا خطة تتألف من فصلين - نظري وتطبيقي - الأول يضمّ بحثين، المبحث الأول: مفهوم المنفى وجذوره، ويتركّب بدوره من مطلبين، مفهوم المنفى في اللغة والاصطلاح، وجذور المنفى في القديم والحديث. ومبحث ثانٍ بعنوان: أنواع شعر المنفى وتأثيراته، المطلب الأول: أنواع شعر المنفى، والثاني: آثار شعر المنفى وتأثيراته. أما في الجزء التطبيقي فضمّنا بحثنا مبحثين، الأول من مطلبين بعنوان: شرح المفردات ومظاهر الألم والحزن في القصيدة. وكان مطلبه الأول: شرح مفردات القصيدة، والثاني: الحنين والشوق في القصيدة. ومبحث ثانٍ بعنوان: الإيقاع والصورة واللغة، ويضم ثلاثة مطالب، الأول: الإيقاع الشعري، والثاني: الصورة الشعرية، والثالث: اللغة الشعرية. وبعض المراجع التي استندنا عليها: شوقي ضيف في تاريخ الأدب العربي - العصر الجاهلي، وحنّا الفاخوري في الجامع في تاريخ الأدب العربي بجزأيه - القديم والحديث.

ومن الصعوبات التي لا يخلو منها بحث أو عمل، ننكر:

- جائحة كورونا التي ألمّت بالبشريّة جمعاء، فكانت سبباً في الانقطاع والبعد وأضرار أخرى صحية.
- صعوبة الالتقاء بالأستاذ المشرف بسبب الجائحة.
- نُدرّة المصادر والمراجع في المكتبة الجامعية.
- شُحّ المصادر والمراجع في موضوع المنفى في المكتبة العربية.
- الدراسات المحتشمة جداً لشعر المنفى مما صعّب الأمورية والبحث.
- استحالة الاجتماع بين الطلبة الأعضاء بسبب الوباء.
- صعوبة الموضوع وعمقه لأنه يتعلق بنفسية الشاعر وروحه.

الفصل النظري

المبحث الأول: شعر المنفى (المفهوم والجذور)

المطلب الأول: مفهوم النفي (المنفى)

المطلب الثاني: جذور النفي (المنفى)

المبحث الثاني: شعر المنفى (أنواعه وتأثيراته)

المطلب الأول: أنواع شعر المنفى

المطلب الثاني: آثار شعر المنفى وتأثيراته

المبحث الأول: شعر المنفى (المفهوم والجدور)

المطلب الأول: مفهوم النفي (المنفى)

أولاً: في اللغة

لا ينأى المعنى اللغوي كثيراً لكلمة (منفى) عن مفهومها في الاصطلاح، حيث تُجمع كافة المصادر على أن النفي أو (المنفى) هو: الإنكار والطرْد، والإقصاء، والتهجير.. وهذا ما جاء في التنزيل الحكيم، ومعاجم اللغة العربية القديمة منها والحديثة.

1- في الذكر الحكيم

جاء في قوله تعالى: «إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ۗ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ۗ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ» [المائدة: 33]¹

أتى النفي في الآية الكريمة بمعنى الطرد والتهجير.

2- في معاجم اللغة

أ- القديمة

نفي: ينفى، نفيًا.

يُقال: نفيْتُ الرجل نفيًا أي طردته. ونفتِ الريح التراب بمعنى أطارته بعيدًا. والنَّفِيُّ هو كل ما يُنفى.

نَفَتِ السحابة الماء: مَجَّتْه وأبعدهته وأسالته، بمعنى أمطرت.

النَّفِيُّ أيضا: هو ما نفته الحوافر من الحصى وغيره في السير. وأتاني نَفْيُكم أي وعيدكم الذي توعدونني.

1-القرآن الكريم، المائدة 33

ونُفَايَة الشَّيْءِ: بَقِيَّتُهُ وَأَرْدُوهُ، وَكَذَلِكَ نُفَاوَتُهُ وَنُفَاتُهُ وَنُفَايَتُهُ. وَجَاءَ مِنْ ذَلِكَ النُّفَايَة وَالنُّفَايَاتِ وَهِيَ كُلُّ مَا يُرْمَى مِنَ الْأَشْيَاءِ لِعَدَمِ نَفْعِهِ لِرَدَائَتِهِ، مِثْلَ الْبَرَايَةِ وَالنَّحَاتَةِ..
انْتَفَى فَلَانٌ وَلَدَهُ: جَدَّهُ وَتَبْرَأَ مِنْهُ.
نَفَيْتُ الدَّرَاهِمَ: أَي صَارَتْ مُعَدَّةً لِلانْتِقَادِ وَالتَّصْرِيفِ¹.

ب- الحديثة

نَفَى: يَنْفِي، انْفَى، نَفَيْاً، فَهُوَ نَافٍ، وَالمَفْعُولُ مَنْفِيٌّ.
نَفَى الشَّيْءَ: أَنْكَرَهُ وَلَمْ يُثْبِتْهُ "نَفَى التَّهْمَةَ عَنْ نَفْسِهِ - نَفَى احْتِمَالَ حَدُوثِ شَيْءٍ".
نَفَى الْحَادِثَ: كَذَّبَهُ، أَخْبَرَ أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ.
نَفَى الْحَاكِمَ أَوْ الْمُسْتَعْمَرَ فَلَاناً: نَحَاهُ وَأَبْعَدَهُ، حَكَّمَ عَلَيْهِ بِالطَّرْدِ.
نَفَى الْكَلِمَةَ أَوْ الْجُمْلَةَ: أَدْخَلَ عَلَيْهَا إِحْدَى أَدْوَاتِ النِّفْيِ مِثْلَ: لَا، لَنْ، لَمْ...
انْتَفَى الزَّعِيمُ: ابْتَعَدَ عَنْ وَطَنِهِ مَطْرُوداً.
نَافَى الْأَمْرَ: عَارَضَهُ وَخَالَفَهُ.
مَنْفَى: جَمَعَهَا مَنْافٍ، اسْمُ مَكَانٍ مِنْ نَفَى: مَكَانُ إِقَامَةِ الْمَطْرُودِ مِنْ بِلَادِهِ.
مَنْفِيٌّ: اسْمُ مَفْعُولٍ مِنْ نَفَى، وَهُوَ الْمَحْكُومُ عَلَيْهِ بِالطَّرْدِ وَالْإِقَامَةَ خَارِجَ الْبِلَادِ.
نَفَيٌّْ: مَصْدَرٌ مِنَ الْفِعْلِ نَفَى، وَهُوَ الْحُكْمُ بِالنِّفْيِ².

1- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر - بيروت، ج15، دط، ص336-337
ويُنظر الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مر: أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث-القاهرة، دط، ص1639
2- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتاب - القاهرة، ط1 2008، ص 2262

ثانياً: في الاصطلاح

المنفى أو (المنفى) في الاصطلاح هو أن يُطرد شخص من بلده عمداً، ويُبعد عن أهله وعشيرته كرهاً، ويُحجب عنهم قسراً، ليصبح بذلك منفيّاً من وطنه طريداً في الغربة. وعادة ما يكون النافي حاكماً مستبداً جائراً أو مستعمراً يغتصب الأرض والعباد. أما المنفى فهو مكان المنفى الذي يُرمى إليه المنفيّ؛ فبلدان بعيدة أو جزر نائية. والمنفى أيضاً هو: "إبعاد عن الوطن، ونبذ، ونزع للألفة"¹.

وهنا نُجمل القول في تحديد مفهوم لمصطلح (منفى) فكما أسلفنا في أن التعريفين يتداخلان كثيراً، فنقول: إن المنفى هو الإنكار والتكذيب، والطرد والنبذ، والإقصاء والإبعاد، والتهجير والحجب، والفرقة...

• أدب المنفى (شعر المنفى)

هو ذلك الأدب -الشعري والنثري- الناتج عن تفتق قرائح الأدباء في مفاهيم وغربتهم، "إذ هو أدب كتبه كُتاب منفيون عن وضعية المنفى والمنفيين"². أدب خطّه أولئك بدم قلوبهم، ومن عميق جوارحهم، ليخرجوا لنا بروائع لا تُنسى في الدفاع عن الوطن، وحب الأرض، والانتماء، ويكون عمود كل تلك الأعمال الرائدة؛ الشوق والحنين، وآلام الاغتراب عن الوطن.

1- محمد الشحات، سرديات المنفى، أزمنة، ط1 2006، ص 23

2- المرجع نفسه، ص 24

المطلب الثاني: جذور النفي (المنفى)

تعود جذور النفي أو (المنفى) إلى ذاك الماضي السحيق في تلك الحضارات الغابرة، فمنذ تواضع البشر على شيء اسمه الدولة، والتعارف على الحكم والسلطة، ظهر ما يُسمى اليوم بالنفي أو (المنفى) والعلاقة فيه حتمية بين الحاكم والمحكوم. وأول ما وصلنا في هذا الشأن قصة سيدنا آدم -عليه السلام- مع الله عز وجل، حين نفاه الله ﷻ إلى الأرض جزاءً له لمعصية ارتكبها. وهذا في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ * فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 35 - 37] ¹.

وكان لمعظم أنبيائنا -عليهم السلام أجمعين- نصيب من الطرد والإقصاء، فموسى وعيسى ومحمد -عليهم السلام- ذاقوا مرارة النفي والتهجير، وتعرضوا لطلب اللجوء، ومغادرة الأوطان، بحثاً عن عالم آخر بديل..²

أولاً: في الأدب العربي القديم

تعج كتب تاريخ الأدب بأخبار عرب الجاهلية، أو عرب ما قبل الإسلام؛ إذ تبرز في هذا العصر تحديداً طائفة الصعاليك؛ وهم أفراد وجماعات تُفِيوا وهُجِرُوا من قبائلهم لفعل أتوه أو لنقيصة كان يراهم بها الأسياد، سببها العرق واللون، والنسب والأصل، والطبقة.. انتشر الصعاليك بعد ذلك في البند يرودون مجاهلها، ويسبرون أغوارها، يستأنسون الوحوش في وحدتهم، ويُغيرون على الأغنياء الأشحاء يسلبونهم المال والطعام. وقد استطاعوا بأسلوب فريد بارع إيصال أخبارهم ومآثرهم لنا -بنمط عيشهم المختلف- في قوالب أدبية خالدة، جاءت مراتٍ مقطوعاتٍ شعرية، وأتت في أحيانٍ أخرى قصائد طوالاً. نبغ من بين هؤلاء القوم شعراءً كثر سُموا بالشعراء الصعاليك، نذكر أشهرهم: الشنفرى، وتأبط شراً، والسليك

1- القرآن الكريم، البقرة 35-36-37

2- محمد الشحات، سرديات المنفى، ص23

بن السلانة، وعروة بن الورد الذي اختلف في حاله الاجتماعي بين الفقر والغنى، واتفق على اختياره حياة الصلابة وخدمة الضعفاء رغم نسبه الشريف¹.

يقول الشنفرى مفتخراً في من طرده من قبيلته ونفاه إلى حياة البرية، وهذا من مطولته الباذخة (لامية العرب):

أقيموا بني أمي صدور مطيكم ... فإني إلى قوم سواكم لأميل
فقد حمت الحاجات والليل مقمر... وشدت لطيات مطايا وأرحل
وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى... وفيها لمن خاف القلى متعزل
ولي دونكم أهلون: سيد عمّس... وأرقت زهلول وعرفاء جبال²

وتذكر كتب الأدب أيضاً قصة أمير شعراء الجاهلية (امرؤ القيس) الذي نُفي من بيت والده لمغالاته في اللهو والمجون³.

وعلى امتداد تاريخنا وفي مختلف العصور؛ (صدر الإسلام، الأموي، والعباسي، المملوكي، والعثماني) إذ لا تخلو جميعها من النفي والطرده لمن يخالفون شرع الله أو هوى الحاكم، أو من يخرجون عن النظام السائد والمتعارف عليه، لكنّ المقام لا يتسع لذكرها الآن.

1- يُنظر يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف - القاهرة، ط3، ص28 وما بعدها.
وشوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي - العصر الجاهلي، دار المعارف - القاهرة، ط11، ص375 وما بعدها. وحنا
الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي - الأدب القديم، دار الجيل - بيروت، ط1 1986، ص 164-165-166
2- حنا الفاخوري، منتخبات الأدب العربي، المكتبة البولسية - بيروت، ط5 1970، ص9
3- يُنظر ترجمة امرؤ القيس عند شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي - العصر الجاهلي ص232 وما بعدها

ثانياً: في الأدب العربي الحديث

عاش أدبنا العربي فترات ركود امتدت قرناً عدّة، فمنذ سقوط بغداد سنة (1258م - 656هـ) وانتكاس الحضارة فيها على يد التتار؛ دخل العالم العربي نفقاً مظلماً أخذ يطول مع مرور السنين، لتدفع ميادين العلم ومجالات الثقافة ثمنه غالياً، ويأتي الأدب في مقدمتها وعلى رأسها -طبعاً- لأنه حامل مشعل الحضارة بامتياز، فكانت سماؤه مظلمة ونجومه آفلة، فلولا بعض الشُّهب التي تومض بين الفينة والأخرى لتتير تلك العتمة؛ لَحَكَمْنَا عَلَيْهَا بِأَنَّهَا عصور من الظلام والانحطاط. وفي بدايات القرن التاسع عشر بدأت هذه الحدة تخفّ، وأخذ الأدب بالتعافي بعد صراع طويل مع المرض.. لكنّ هاته الصحوّة لم تكن عابرة هكذا، إنّما أتت نتاجاً لظهور كوكبة من رجال الفكر والعلم والأدب في جميع الأقطار والأصقاع العربية. واصل الأدب استفاقة طوال هذا القرن، لتبدأ ملامح نهضتنا الأدبية والفكرية بالتكشّف مع وصولنا إلى القرن العشرين، الذي شهد انفجاراً ثقافياً لم يكن لنا به عهد منذ زمن العصور الذهبية للحضارة العربية، التي بلغت أوجّها في القرن الرابع الهجري¹.

رغم تلك الصحوّة الشاملة التي قادتها النخبة المثقفة؛ إلا أنّ معظم البلاد العربية كانت تترجح تحت وطأة الاستعمار أو (الحماية) التي تُعدّ هي الأخرى استعماراً لكنّ بقناعٍ فقط، فموجة التحرر من براثن الغزاة جُوبهت بالقمع والقتل، والنفي والتهجير.. وكان المستهدف الأول من هذه الممارسات؛ رواد العلم والثقافة وكلّ من يُنير دروب الشعوب، أفضّ هؤلاء راحة الحكام بمدادهم السيّال، حيث سوّدوا صفحات الجرائد بمقالات حماسية تشجع النضال وتحثّ على المقاومة، وقصائد شعريّة تستنهض الهمم، وخطبٍ تُلهب النفوس. كان الأدباء والشعراء في طليعة هذه النخبة، لينالوا نصيب الأسد من النفي والويل والحرمان، ونذكر منهم: الأمير عبد القادر الجزائري، محمود سامي البارودي، أحمد شوقي، وأحمد مطر وغيرهم الكثير..

في حديثنا عن المنفى نجتزئ أحياناً لبعض شعرائنا المنفيين، نستوضح من خلالها ونستشف مرارة ما عاناه هؤلاء في منافيهم.

1- يُنظر شوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر في مصر، دار المعارف - القاهرة، ط10، ص 11 وما بعدها. وحنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي بجزأيه -الأدب القديم، ص1034 وما بعدها، والأدب الحديث، ص9 وما بعدها.

يقول أمير الشعراء أحمد شوقي وهو ياشبيلية:

يا نائح (الطلح)، أشباه عَوَادِينَا... نَشْجِي لَوَادِيكَ، أَمْ نَأْسَى لَوَادِينَا؟
 ماذا تُقْصُّ علينا غيرَ أَنْ يَدَا... قَصَّتْ جَنَاحَكَ جَالَتْ فِي حَوَاشِينَا؟
 رمى بنا البينُ أَيَّكَ غيرَ سَامِرِنَا...-أخا الغريب- وَظِلًّا غيرَ نَادِينَا
 لكنَّ مصرَ وَإِنْ أَغْضَتْ عَلَى مُقَّةٍ عَيْنَ عَلَى الخلدِ بالكافورِ تَسْقِينَا
 على جوانبها رَفَّتْ تَمَائِمُنَا وَحَوْلَ حَافَاتِهَا قَامَتْ رَوَاقِينَا¹

ويقول البارودي وهو في غربته بسرنديب:

أَبِيْتُ فِي غُرْبَةٍ لَا النَّفْسُ رَاضِيَةٌ بِهَا وَلَا الْمُتَقَى مِنْ شِيْعَتِي يَكْتَبُ
 فَلَا رَفِيقٌ تَسْرُ النَّفْسَ طَلَعَتْهُ وَلَا صَدِيقٌ يَرَى مَا بِي فَيَكْتَتِبُ
 وَمِنْ عَجَائِبِ مَا لَاقَيْتُ مِنْ زَمَنِي أَنِّي مُنِيْتُ بِحَطْبٍ أَمْرُهُ عَجَبُ
 لَمْ أَقْتَرِفْ زَلَّةً تَقْضِي عَلَيَّ بِمَا أَضْبَحْتُ فِيهِ فَمَاذَا الْوَيْلُ وَالْحَرْبُ
 فَهَلْ دِفَاعِي عَنْ دِينِي وَعَنْ وَطَنِي ذَنْبٌ أَدَانُ بِهِ ظُلْمًا وَأَغْتَرِبُ²

1- زكي مبارك، الموازنة بين الشعراء، عن مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة 2012، ص323

2- ديوان محمود سامي البارودي، تح: علي الجارم ومحمد شفيق معروف، دار العودة -بيروت 1998، ص74

المبحث الثاني: شعر المنفى (أنواعه وتأثيراته)

المطلب الأول: أنواع شعر المنفى

تتعدد أنواع شعر المنفى بتعدد ألوان المنفى ذاته، فهذا الشعر عبارة عن تجربة مريرة منبعها مختلجات وقرائح أولئك الأدباء في منفاهم. نتج عن هاته التجربة نوعان من شعر المنفى؛ داخلي وخارجي.

أولاً: الداخلي

ينقسم شعر المنفى الداخلي قسمين؛ قسم الإحساس بالغربة داخل الوطن، وآخر يتعلق بالغربة تجاه النفس.

أ- الغربة داخل الوطن:

عانى كثيرٌ من الأدباء غربة الوطن، وهي شعور يتملك الشاعر داخل أسوار بلده، حيث يُحسّ بغربة بين الأهل، ويكون هذا -أغلب الأحيان- نتيجةً لكبت الحاكم وتضييقه الحياة السياسية، وتشديده الخناق على المثقفين، ليصبحوا بذلك منفيين في ديارهم، مُخيرين بين إنتاج أدب خجول خوفاً من السلطة، أو نظم شعر يغلب عليه الترميز فيُبطن أكثر ممّا يُظهر أو الهجرة خارج البلاد. لذلك يُعدّ الأدب أو الشعر الساخر أحد أنواع شعر المنفى، حيث يتملص فيه الشاعر من الملاحقة، ويتوارى خلف ألفاظٍ وتعابير مُبطنّة الانتقاد واللوم والتجريح.

ب- غربة النفس

وهي حالة شعورية يمكن أن تمتلك مختلف أفراد وأطياف المجتمع، وينسحب هذا على الأدباء والشعراء. يُحسّ الشاعر هنا غربة مختلفة تقارب انفصام الشخصية، وهي إحساسه بأنه غريب عن ذاته، ووقوفه على مسافة منها والنظر إليها من بعيد، حيث يشعر بالندم وعدم الرضا عن نفسه لتقصيره تجاه وطنه وكل

ما يُحب..¹ أما أدبه فيكون شعر اعتذار للوطن ولوم للنفس ومحاسبة لها، وغربة النفس تأتي نتيجة لكل أنواع المنفى.

ثانياً: الخارجي

شعر المنفى الخارجي وهو محور دراستنا، والأهم من بين كل الأنواع، فهو تعبير صادق عمّا يعانیه الأدياء في غياهب منافيهم خارج أوطانهم، إذ تتجلى في هذا الشعر الصورة الحقيقية التي يحاول الشاعر رسمها عن لوعته وآلام اغترابه، وتطفو على سطحه كل معاني الشوق والحنين والحُرقة.

المطلب الثاني: آثار شعر المنفى وتأثيراته

بدأ الشعر العربي بالفخر والغزل.. ثم انتقل إلى الحكمة والحماسة، وبعد قطع شوط طويل مع مختلف الأغراض والألوان تحوّل إلى الحنين ولوعة الشوق وألم الفراق تماشياً مع ضروريات المرحلة ومستجدات العصر. إنّ لشعر المنفى آثاراً وتأثيراتٍ كما هي للمنفى، بل إنّ جميعها تتبع من مرارة المنفى ذاته، فشعر الغربة يُخلّف عند صاحب التجربة رسوباً كثيرة في نفسه جرّاء سيل المحن والمآسي، وبسبب ذلك الطوفان التغريبي الذي تنطبع به نفسه بعد صراعها معه. وممّا تختلج به ذات الشاعر وتجيش له عاطفته؛ الألم والحنين والشوق...

1-الحنين في الشعر

وهو أن يحنّ الشاعر لوطنه تحت وطأة الاغتراب وقيود المنفى، فالحنين شعور يُخيم على الأدياء في منافيهم بديار الغربة، "حيث لا يستطيع المرء التخلي عن هذه العاطفة الجياشة مهما بلغ رُقّيّه الحضاري وتطوره المادي وسموه الروحي."² أما شعر الحنين فهو من المواضيع

1- يُنظر يحيى الجبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي، دار مجدلاوي، ط1 2008، ص19-20

2-فاطمة طحطح، الغربة والحنين في الشعر الأندلسي، مطبعة النجاح الجديدة-الدار البيضاء، ط1، 1993، ص 18

التي طرقت قديماً وما زالت تُطرح بقوة في شعر المنفى الحديث، تميّز بالعاطفة الصادقة الجياشة والأحاسيس الحزينة المتأججة، حيث تطغى على قصائده الرقة والعذوبة المنعكستان من نفسية الشاعر الحزينة والمتألّمة. عرف شعراء الجاهلية شعر الحنين في قصائدهم الأولى، فالوقوف بالطلل والبكاء على الأثر فيه حنين بالغ للأهل والديار، اللذين يُعتبران بدورهما وطناً متكاملًا للإنسان الجاهلي¹.

يقول امرؤ القيس في مطلع معلقته الرائعة وهو يحنّ للديار:

قفا نَبِكِ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ	بِسِقْطِ اللَّوِيِّ بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ
فَتَوْضِحَ فَالْمِقْرَةَ لَمْ يَعْفُ رَسْمُهُ	لِما نَسَجَتْها مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالِ
تَرَى بَعَرَ الأَرَامِ فِي عَرَصَاتِهِ	وَقِيَعَانِها كَأَنَّهُ حَبٌّ فُلُقُلِ
كَأَنِّي عِدَاةَ البَيْنِ يَوْمَ تَحَمَّلُوا	لَدَى سَمَرَاتِ الحَيِّ نَاقِفُ حَنْظَلِ
وُقُوفاً بِها صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ	يَقُولُونَ: لا تَهْلِكِ أَسَى وَتَجَمَّلِ
وَإِنَّ شِفَائِي عِبْرَةٌ مَهْرَاقَةٌ	فَهَلْ عِنْدَ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلِ؟
ففاضتْ دموع العين مني صبايةً	على النحر، حتى بلّ دمعِي محملي ²

ويقول النابغة الذبياني في مطلع معلقته مخاطباً ديار حبيبته:

يا دارَ مِيَّةٍ بِالْعِلياءِ فَالَسَنَدِ	أَقَوْتُ وَطَالَ عَلَيْها سالفُ الأَبَدِ
وَقَفْتُ فيها أَصِيلاناً أُسائِلُها	عَيْتُ جَواباً وَما بِالرَبِيعِ مِنْ أَحَدِ
إِلا الأَوارِيَّ لأَيًّا ما أُبَيِّئُها	وَالنُّؤْيِ كالحَوْضِ بِالمَظْلومَةِ الجَدِ
رَدَّتْ عَلَيْهِ أَقاصِيهِ وَلبَّدهُ	ضَرَبُ الوَلِيدَةِ بِالمِسحاةِ فِي الثَّادِ ³

1- يُنظر يحيى الجبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي، ص 19-20

2- حنا الفاخوري، منتخبات الأدب العربي، ص 12

3- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي - العصر الجاهلي، ص 293 - 294

2- الشوق في الشعر

من آثار وتأثيرات المنفى الكثيرة الشوق، إذ يتداخل ويختلف هذا الأخير مع الحنين فالدوافع والنتائج واحدة، والشوق هو اشتياق المرء لشيء يُسّر لرؤيته كالشوق للوطن والأهل، فلوعة الشوق وآلام الفراق يُلاحقان شعراء المنفى أينما حلّوا وارتحلوا ما داموا بعيدين عن الديار، ونلمس هذا في أشعارهم المملوءة حُرقةً وألماً، وفي عواطفهم الملتهبة وأنفسهم الحزينة المتشوّقة.

يقول محمود سامي البارودي في الشوق والحنين معاً:

وَكُلُّ مَشُوقٍ بِالْحَنِينِ جَدِيرُ	أَبَى الشُّوقُ إِلَّا أَنْ يَحِنَّ ضَمِيرُ
يَنْمُ عَلَيْهَا مَدْمَعٌ وَرَفِيرُ	وَهَلْ يَسْتَطِيعُ الْمَرْءُ كِتْمَانَ لَوْعَةٍ
أَبَيْتُ فَلَمْ يَحْكُمْ عَلَيَّ أَمِيرُ	خَضَعْتُ لِأَحْكَامِ الْهَوَى وَلَطَالَمَا
وَأَزْهَبُ لِحَظِّ الرِّئِمِ وَهُوَ غَرِيرُ ¹	أَفْلُ شَبَابَةِ اللَّيْثِ وَهُوَ مُنَاجِرُ

1- ديوان البارودي، ص 204

الفصل التطبيقي

المبحث الأول: شرح المفردات ومظاهر

الحزن والألم في القصيدة

المطلب الأول: شرح المفردات

المطلب الثاني: الشوق والحنين في القصيدة

المبحث الثاني: الإيقاع والصورة واللغة

المطلب الأول: الإيقاع الشعري

المطلب الثاني: الصورة الشعرية

المطلب الثالث: اللغة الشعرية

المبحث الأول: شرح المفردات ومظاهر الألم والحزن في القصيدة

المطلب الأول: شرح مفردات القصيدة

- 1- راقٍ: اسم فاعل من رقاہ يرقيه. العليل: المريض. الإيراق: السهر
- 2- المهجة: الروح والنفس. الرمق: بقية الحياة. البين: الفراق
- 3- براني: هزلني وأضعفني. رعث: أضمرث وأضعفث
- 4- جازعة: اسم فاعل من الجزع وهو نقيض الصبر. أعياه: أتعبه
- 5- الخل: الصديق المختص. ألوذ به: ألجأ إليه
- 6- أرعى نجوم الليل: أراقبه كما يراقب الراعي غنمه طوال الوقت
- 7- جمان الشهب: الجمان هو اللؤلؤ. الشهب: النجم المتحرك. منطقة: الحزام. الوشاح: أديم عريض مرصع بالجواهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحتها. غير مقلق: ثابت محكم الوضع
- 8- الثريا: علم على سبعة كواكب. المصباح الزاهر. الطاق: تجويف في الحائط
- 9- الروضة: البستان الناضر. البائقة: البلية والشر. الأغداق: جمع غدق وهو الماء الكثير
- 10- الحلل: جمع حلة والإزارة أو الرداء. السنديس: رقيق الديباج ورفيعه. الوشي: الزخرفة والنقش
- 11- عبق: طيب العطر. دفاق: كثير الماء والتدفق
- 12- الدوحة: الشجرة العظيمة المتسعة. تدعو الهديل: تصيح به. الهديل: ذكر الحمام أو فرخها. قماري: جمع قمرية، اسم لنوع جميل من الحمام. أطواق: جمع طوق وهو حلي يحيط بالعنق
- 13- أصبو: أحن وأشتاق وأميل
- 14- سلفت: ذهبث. الغروب: الدموع حين تخرج وتنهلّ بغزارة. الآماق: جمع مؤق أو ماق وهو طرف العين جهة الأنف

- 15- الصَّبَا: ريح في شبه الجزيرة العربية تهب من الشرق ومحبوبة عند العرب
- 16- ذات أعلاق: ذات هوى وحُب
- 17- الفنن: الغصن. الساق: الحمام الذكر أو جذع الشجرة
- 18- شمل القوم: أمرهم وعددهم
- 19- الأردن: جمع ردن وهو الكم. الأطواق: جمع طوق حلي العنق
- 20- في تصرفها: تقلبها واختلاف أحوالها
- 21- الغواذي: جمع غادية وهي السحابة. ضنّت: بخلت
- 22- الخطب: المكروه والنازلة
- 23- داجية: مظلمة

المطلب الثاني: الشوق والحنين في القصيدة

يعدّ البارودي رائد القصيدة العربية الحديثة؛ ببعثة الحياة في روح الشعر من جديد، بعدما خفت صوته وخبث جذوته لسنين طويلة. نسج البارودي شعره على منوال فحول الشعر العربي القديم -من العصر الجاهلي إلى العباسي- فجاراهم باقتدار؛ محاكاة ومعارضة، وجاءت قصائده كلاسيكية تقليدية في مجملها خاصة في شكلها العمودي، مع ذلك لم يكتف شاعرنا بالركون إلى القديم فقط، بل طرق أبواب التجديد بجراً، وقطع فيه شوطاً كبيراً موظفاً بذلك موضوعاتٍ عدة لم تكن معهودة بصورتها المستحدثة على الأقل، وخير موضوع يتجلى فيه كل هذا؛ شعر المنفى والاعتراب، الذي فجر فيه الشاعر موهبته الشعرية الفذة بلغة عبقرية مكثفة، وأسلوب متين جزل لا يُعلى عليه؛ مازج فيه بين تراث الأجداد ومستجدات العصر. سُحنت نفس البارودي بآلام الاعتراب ولوعة الفراق وخرقة البعد، التي أتت جميعها على صحته، فلم يسلم من هاته المآسي إلا أدبه وشعره، حيث كانت قصائده دُرراً خالدة تفيض بالحنين والشوق والحُب، والحزن والوفاء والانتماء..

للبارودي - في منغاه بسرنديب - أشعارٌ خالدة لا تُنسى، وفي مقدمتها رائعته التي يقول في مطلعها:

هل من طبيب لداء الحب أو راقٍ؟ يشفي عليلاً أماً حزن وإيراق

تعج هذه القصيدة بألفاظ ومفردات تتم عن فَرْطِ حُبِّ الشاعر وشوقه، ولوعة فراقه وحنينه، حيث أتى فيها على الروح والقلب والنفس.. واستوفى كل معاني الألم والحُرقة، والوفاء للوطن والاشتياق له وللأهل.

وها هو في البيت الأول يُعبّر عن مدى اشتياقه للأهل والديار، ويعلن إصابته بداء الشوق.. فهل من طبيب أو مُداوٍ؟ في البيت الموالي نلمس روحه المُتعبّة التي أرهقها البينُ والفراق، أما في البيت الثالث فنسمع بُكاءه بحرقة بسبب الأشواق التي كوت كبده وأحزنت نفسه. يُصرِّح في البيت الرابع بجزع نفسه لعدم قدرتها على الصبر في شوق الوطن، ثم نرى لاحقاً الهم ولوعة الفراق كمؤنس وحيد له في غربته. يعود مجدداً في أحد أبيات القصيدة واصفاً عظمة محنته؛ بأنّ الطبيب والراقي يعجزان عن إخراجِه من المأساة التي حلّت به، وهي فراقه عن وطنه الذي يتشوق إليه ويحنّ. يُعيدنا البارودي إلى الصّفة الأخرى بحنينه إلى مصر، فيستذكر نيلها ونسيمها، ماءها وسماءها، دياره وأهله، وهذا في أبيات تصيح بألم صارخ يُدمي القلب ويجرّح الفؤاد. وفي عموم القصيدة ينزف كل بيت بما فيه؛ فبكاءً أو شوق أو حنين.. لكن سنختار أكثرها تفجراً وتعبيراً رغم صعوبة الاختيار:

قد كان أبقى الهوى من مُهجتي رمقاً	حتى جرى البينُ فاستولى على الباقي
حزن براني وأشواق رعتُ كـبـدي	يا ويح نفسي من حزن وأشواق
أكلّف النفس صبراً وهي جازعة	والصبر في الحبّ أعياء كل مشتاق
لا في سرنديب لي خلّ ألود به	ولا أنسّ سوى همّي وإطراق
أبيتُ أرعى نجوم الليل مُرتفقاً	في قنّة عزّ مراقها على الراق
يا روضة النيل لا مسّتك بائقة	ولا عدتك سماء ذات أغداق

مرعى جيايدي ومأوى جيرتي وحمى	قومي ومنبت آدابي وأعــــراقِي
وكيف أنسى دياراً قد تركتُ بها	أهلاً كراماً لهم ودي وإشــــفــــاقِي
إذا تذكرتُ أياماً بهم سلفتُ	تحدّرتُ بغروب الدمع أمــــاقِي
فيا بريد الصّبا بلّغ ذوي رحمي	أني مقيم على عهدي وميــــثــــاقِي
عصر تولى وأبقى في الفؤاد هوى	يكاد يشمل أحشائي بإحــــراق ¹

المبحث الثاني: الإيقاع والصورة واللغة

المطلب الأول: الإيقاع الشعري في القصيدة

1- الإيقاع الخارجي:

يرتكز الإيقاع الخارجي على الوزن، الذي يتفرع إلى البحر والقافية. نسج البارودي قصيدته على بحر البسيط، وهو من البحور الشهيرة جداً، ففضاؤه رحيب، إذ يُبحر فيه الشعراء ويمخرون عُبابه دون إعياء أو وجل، واختيار الشاعر لهذا البحر ليس اعتباطاً، بل عن دراسة وتروّ. فبحر البسيط بحر طويل النَّفس، تسلّح به شاعرنا ليستطيع التعبير عمّا يختلج في دواخله من حزنٍ وأسى، فالتفعيلات الثماني تتسع لصراخ الشاعر وبكائه مهما عَلَيَا، ولشوقه وحنينه وأنينه أينما وصلوا. فهو من البحور القليلة المناسبة لهذا اللون من الشعر.

أما وزن البيت الأول بعد تقطيعه فكان كالآتي:

مستعلن فاعلن مستعلن فاعل. والقافية "اقِي" وهي مطلقة. الروي: القاف

الوصل الياء

1-ديوان البارودي، ص 370 -371 -372

2- الإيقاع الداخلي:

من الإيقاعات الداخلية للقصيدة؛ المحسنات، حيث جاءت هذه الأخيرة محتشمة يكاد يخلو النص من بعضها، فلم نقف مثلاً على جناس واحد وكان السجع أيضاً نادراً جداً إلا ما عرض عفواً، فلم يُعَنَّ الشاعر أبداً بأجراس السجع والجناس، وله غاية جلييلة في هذا وهي اللغة الجديدة، أما الطباق فكان أوفر حظاً من سابقه، فإيراد المتناقضات يُجلي الصورة ويُبرز المعنى، ونذكر: الطب - الداء، الصبر - الجزع، الأُنس - الهم والوحدة.

يتعلق الإيقاع الداخلي أساساً بالتركرار، والتكرار بدوره ينقسم إلى: تكرار الحرف، وتكرار الكلمة، وتكرار الجملة.

أ- تكرار الحرف:

يتردد حرف الراء كثيراً في القصيدة وهو صوت جهوري قوي يصرخ به الشاعر وقتما يشاء، مثل: صبرا وديارا، مررتُ ونارا، رقراق.

حرف "التاء" الذي تكرر كثيراً أيضاً، وهو حرف مهموس شديد، استعمل بكثرة في الضمائر وتاء التأنيث الدالة على الحزن: أبيتُ، رعيتُ، تذكرتُ، تحدّرتُ، مسّتُك، عدتُك.

"السين" ورد كثيراً في النص، وهو حرف صفييري، كان متنفساً للشاعر ووسيلة تنبيه؛ إذ أفرغ فيه مكبوتاته موقظاً القارئ في ذات الوقت، من كلماتها: استولى، نفسي، أنس، سماء، أنسى..

"ا و ي" حروف المد التي تملأ النص، وهي مساحات خلقها الشاعر ليرتفع وينخفض بين الطبقات، حيث أطلق العنان لنفسه المكظومة، فيجهد مرة بالبكاء، ويصرخ في أخرى، ثم يئن من فرط الحنين، ليختمها بالدعاء والاستنجد بالله، من أمثلتها الكثيرة نذكر: كان، يا، مرقاها، أغداق، إحراق، جازعة، نجوم، أصبو، الغروب، حَسود، مُهجتي، سرنديب، أماقي، أحشائي، خلّقي.

"القاف" وهو روي القصيدة، انفجاري قويّ مُدوّ، ربما اختاره الشاعر قصداً لإحداث دويّ وصدى في الأذان وله غرض في ذلك، وقد وُفق في كل اختياراته فرويها مثلاً جاذب يُطرب الأذان رغم قوته والصدى الذي يُحدثه.

ب- تكرار الكلمة:

تردّدت على مسامعنا في هذا النص كلمات عدة تترك عند القارئ انطباعاً معيناً، من هاته الكلمات نُعدّد:

كلمتا "الشوق" إفراداً وجمعاً و"الحنين" وهما كلمتان مفتاحيتان؛ إذ يدور حولهما كلُّ النَّص، بل بهما ترَكَّب ومن أجلهما نُظم، فكل لفظة ذُكرت في هذه القصيدة توحى لك وتُحيلك مباشرة دون تورية أو لُبس إلى الشوق والحنين، اللتين -كما أسلفنا- تُعبّران بشكل صارخ عما يعتوّر البارودي -في منفاه- من مِحْنٍ ومآسٍ.

"الحزن" -إفراداً وجمعاً-لفظاً ومعنى- درجت كثيراً في النص، وهذا طبيعيّ في عمل كهذا، عمل يفيض بكل شيء حزين حتى لو كان الحُبّ، الذي تمّدّد إليه حزن الشاعر وغمره عن آخره.

وكلمات أخرى وردت بكثرة وليست أقلّ تأثيراً من سابقتها مثل: النفس والروح، والحُبّ والصّبر.. وجميعها تتقارب من حقل دلاليّ واحد، وتتشترك في صفة الحزن الذي تضطرم به القصيدة، حيث يُطل عليك متحمساً بشدّة من البيت الأول ولا يبرحها أبداً، فصوته مسموع وصورته جليّة واضحة في كل الأبيات.

صحيح أنّ الموسيقى أو الإيقاع غايته سمعية جمالية، وهي بأنّ يُطرب السامع ويتلذذ القارئ، لكنّ إن تجاوزت هذه الموسيقى الشعرية وظيفتها الجمالية وصولاً إلى أقاصي مضمون النص، وما ينشده الأديب؛ فتلك الغاية العظمى وأقصى ما يُراد، وهذا ما نجح فيه البارودي بموسيقاه؛ من خلال عزفه على ألفاظ قوية دالّة لا مُنمّقة، مُنتقاة بدقة متناهية، وعلى حكمة نابعة من تجربته المُفردّة. فبهذا تحقق المعنى المُراد الذي رسمه، وحُزن القصيدة

خيرُ مثال على ما أسلفنا ذكرًا، فألحان النص حزينه شجيّة ومسموعة، كأنها تخرج من عزف كمان حزين.

المطلب الثاني: الصورة الشعرية

على نقيض المُحسّن اهتمّ الشاعر بالصورة اهتماماً بالغاً، فنجد الصورة تمتطي موج القصيدة، فلا يخلو بيت تقريباً من صورة بيانية، بل وتتعدّد الصور في البيت الواحد وتتداخل، وهذا هو جوهر التجديد في شعر المنفى عند البارودي.

أ- التشبيه: لم يرد التشبيه كثيراً في القصيدة بحكم بساطة الصورة التي يحملها، ومن مثله:

كأن نجم الثريا وهو مُضطرب دون الهلال سراج لاح في طاق

ب- الاستعارة المكنية والكناية: رغم تفريق أهل اللغة والبيان بين الاستعارة المكنية والكناية في المبنى خاصة، إلاّ أنّه وفي المعنى تحمل كلُّ استعارة مكنية بين تضاعفها وفي ثناياها كنايةً تامة، إذ تملأ الاستعارة النص خاصة المكنية، وهذا لجمال صياغتها وعمق دلالة صورتها، وأمثلتها كثيرة:

أكلف النفس صبراً وهي جازعة والصبر في الحُب أعيا كل مشتاق

استعارة مكنية ذكر التكليف وحذف الشخص الذي يُكلف، وكناية أيضاً على حالة النفور التام للنفس وجزعها وعدم قدرتها على الصبر.

أبيثُ أرعى نجوم الليل مرتفقاً

استعارة مكنية، إذ حذف المشبه به وهو الراعي وذكر الرّعي.

كناية على الهمّ الذي يُكلفه سهر الليل بأكمله وهو غارق في التفكير.

فيا بريد الصّبأ بلّغ ذوي رحمي أني مقيم على عهدي وميثاقي

استعارة مكنية فذكر البريد وحذف الساعي، وكناية على أنه قطعة لا تتجزأ من أهله ومجتمعه، وأنه نفس الشخص الذي تعرفونه في الصغر.

هل من طبيب لداء الحب أو راقى؟

كناية على عظمة المحنة والمأساة.

أذكرتني ما مضى والشمل مجتمع بمصر والحرب لم تنهض على ساق

كناية على شدة الحرب وتلاطم أمواجها.

فكلّ هذه الصور وغيرها الكثير -التي يضيق بها بحثنا- أعطت معنى عميقاً في فهم

النص، وأفردت لنا لوناً جديداً من شعر البارودي.

المطلب الثالث: اللغة الشعرية في القصيدة

الكلام عن اللغة الشعرية كلام طويل وشائك، وربما استوفينا منه قسطاً في المطلبين الأخيرين، فحديثنا عن الإيقاع والموسيقى حديثٌ عن اللغة، وحديثنا عن الصورة هو أيضاً كلام في اللغة، فكما أسلفنا أحالنا الإيقاع إلى لغة النص الشعرية ونوّهنا لذلك. وتحذو الصورة حذو الموسيقى، فنجد الشاعر يُعرض عن السجع والجناس ويَجْنَح نحو الاستعارة والكناية؛ أي تخلّصه من التصنّع والتميق الدارجين أيامها. ولغة القصيدة نهرٌ تصبّ فيه باقي الجداول الأخرى، فيها ومنها وإليها تركّب النص. فقد نفذ البارودي بلغته الحديثة المُتفجّرة إلى الموسيقى فالصورة ثم إلى المعنى، فكانت اللغة عنده وسيلة وغاية، إذ جاءت جزلة متجددة، بسيطة وقوية، رشيقة وموحية. ويُحسب له بأن رجع بنا بحسّ عالٍ إلى لغة العهد الأول والزمن الجميل، في قالب حديث يلائم روح العصر، ففرّ من الصنعة اللفظية - التي أثقلت كاهل الأدب- إلى الصورة والمعنى حيث الفكرة والعمق والموضوعات والتجدد، فهو يبتعد قدر المستطاع عن كل ما يربطه بعصر السطحية والركود القريب من عصره. فكان الجمال بدل التّجمل والفن عوض التّفنن.

وبعبريّة فطرية، وحافظة سحيقة، وثقافة يندُر مثلها؛ ساق البارودي ألفاظه وعباراته في القصيدة، فكان جلاء المعنى وقوة الصياغة، وحسن السبك وجمال الديباجة.

خاتمة

- بين دفتي هذا البحث رحلة مع البارودي في منفاه، حيث رأينا فيها لوناً جديداً ونوعاً مغايراً من الشعر العربي والشعراء العرب، هذا الجديد فرضته الأحداث ومستجدات العصر.. وبعد دراسة موضوعية وتمحيص فني خلصنا إلى بعض النقاط التي نلخصها في الآتي:
- ظهور لون شعري جديد عند العرب في العصر الحديث، وهو شعر المنفى والغربة.
 - الشعر عامة وشعر المنفى خاصة وثيقة تاريخية لا تموت.
 - الفن والموضوع هما جوهرًا شعر المنفى وهذا ما وقفنا عليه في بحثنا.
 - شعر المنفى هو شعر الصياغة والأسلوب، شعر العبارة والمعنى، شعر الألفاظ والسبك.
 - شعر المنفى شعر يصرخ بالصدق ويصدق بالحق.
 - شعر المنفى هو شعر النفس وتدقق الروح، شعر الصمود والبقاء، شعر الرفض والتمرد، شعر الجهاد والمقاومة.
 - من مميزات شعر المنفى التي تميزه عن غيره: العاطفة الصادقة التي تُترجم هموم الشاعر وتصور آلامه ولوعته، فكان كل ذاك الشوق والحنين، وقد تبوأ شعر المنفى مكانة مرموقة في الأدب العربي.
 - يدخل شعر المنفى ضمن تيار التجديد في الأدب.
 - حنين البارودي إلى ماضي الأجداد التليد من خلال حنينه إلى الوطن وإلى أيام الصغر.
 - الرمزية في القصيدة من خلال ذكره "روضة النيل" "نجم الثريا" "سرنديب" "الصبا"
 - استعمال لغة موسيقية خاصة تنفذ إلى قلوب القراء، لتوحي لهم بآلام الشاعر ومعاناته في محنته.
 - واقعية الأحداث بذكر الشاعر تفاصيل كثيرة.
 - البارودي ليس رائد الشعر الحديث فقط، بل رائد شعر المنفى ومُبدعه.
 - البارودي له سبق في الإبداع والخلق والريادة في التجربة.
 - عبقرية وشاعرية البارودي التي لا يُعلى عليها.
 - يُحسب للبارودي بأن رداً الصدع الذي امتدّ شرخه لقرون.

- البارودي الشاعر الباعث والمُجدّد.
- أعاد البارودي للشعر العربي نضارته وألقه.
- في قالب أدبيّ وبحسّ شعريّ لمّاح صوّر البارودي ما تعانیه الأقطار العربية من بؤس ومآسٍ آنذاك.
- البارودي الثائر بالسيف والقلم، حيث تمردّ وثار على الواقع الأدبي والسياسي والحياة السائدة وقتها عامة.

مَلْحَقٌ

ترجمة محمود سامي البارودي:

1- تاريخه: ولد البارودي في القاهرة سنة 1938 لكنه وجد نفسه يتيماً في سن مبكرة فتكفل أهله بتعليمه قبل أن يلتحق بالمدرسة الحربية، سافر إلى القسطنطينية بعد تخرجه واستقر بها إلى أن زارها إسماعيل باشا، فعاد معه واندمج في سلك الجيش، ثم سافر إلى إنجلترا وفرنسا ودرس نظام جيوشهما، ولما عاد إلى بلاده تولى قيادة كتيبة الفرسان واشترك في الحروب العثمانية التي دارت بين بني عثمان ورجال البلقان وأبلى فيها بلاءً حسناً، ولما شبت الثورات العرابية كان ممن خاض غمارها، وكان ضمن المنفيين من جماعة الثائرين إلى جزيرة سرنديب (سيلان) حيث قضى سبعة عشر عاماً قبل أن يعود إلى موطنه مصر، أين عكف على جمع أشعاره ومختاراته حتى فقد بصره.

لقد جمع البارودي بين شجاعتي السيف والقلم وقضى حياته بين ساحات القتال وميادين القوافي حتى توفي سنة 1904.

2- أدبه:

أ- للبارودي ديوان شعر من جزءين يتضمن قصائد في المدح والغزل والفخر والحماسة والسياسة والاجتماع، وقد طبع مرات عدة وأشهر طبعاته تلك التي عني بإخراجها وشرحها الأستاذان علي الجارم ومحمد شفيق معروف وقدم لها الدكتور حسين هيكل باشا، وظهرت للمرة الأولى سنة 1940.

ب- وله: "مختارات البارودي" جمعها من آثار ثلاثين شاعراً من كبار الشعراء المولدين ورتبها على سبعة أبواب هي: الأدب، والمديح، والرتاء، والصفات، والنسيب، والهجاء، والزهد.

3- شاعر التقليد والتجديد:

كان الشعر في عهد البارودي صورة من صور الحياة المهترئة، وصدى من أصداء النفس التي قضي عليها ألا تتنفس تنفساً حراً يمتد في صدر عامر بالأمل والطموح والجمال، فالارتباك ظاهر، والتكلف متفشٍ، والمعنى هزيل، وهذا كله حمل عليه البارودي حملة شديدة العصف، ولم يكن في حملته ذلك المفكر الذي يقرب المقاييس التفكيرية والذي يغوص على المعاني فيبتكر ويخلق ويأتي بالجديد، ولكنه كان شاعر الصياغة والأسلوب التعبيري، فنظم شعره في أسلوب جزل وفخم، مؤثراً فيه النغمة الحلوة في الوزن والقافية، ومسللاً فيه الوجوه الجمالية والتجميلية بطريقة أخاذة، وكان الجديد عنده في هذا التقليد الواعي والشخصي، الذي يتناغم وروحه الفياضة وذوقه السليم، والذي نفض عن صفحة الشعر غبار الأيام السوداء وشدد فيه العصب والقوة.

قال مارون عبود: "لا تعنينا هنا مواضيع الشاعر بل ديباجته التي أعاد بها إلى الشعر رونقه القديم، وإذا سمينا هذا الرائد زعيم مدرسة فلا نقول إلا الحق، فهو الموطئ لإسماعيل صبري، وأرسلان، وشوقي، ومطران، وحافظ، وتامر الملاط، وتقي الدين، ووديع عقل وغيرهم.. كان البارودي متأثراً بفصاحة القدماء وقد أسعفته قريحته وإرادته فقال شعراً لم يسمع في عصره مثله، مذكراً الناس بالبحثري وسواه من شعراء الديباجة المقسية."

اسمعه يقول وفي قوله ما يعجب:

هل من فتى ينشد قلبي معي	بين خدور العين بالجرع
كان معي ثم دعاه الهوى	فمر بالحي ولم يرجع
فهل إذا ناديته باسمه	يفيق من سكراته أو يعي؟!

فخره وحماسه: إن طبيعة البارودي العسكرية، وميله إلى الجنديّة، واشتراكه في الحروب وفي الثورة العرابية كل ذلك حفزه على نظم الشعر الفخري والشعر الحماسي على طريقة

المتنبي وأبي فراس الحمداني، وهو يجيد هذا النوع من الشعر لأنه يدغدغ عنفوانيته وناحية الفتوة العربية فيه، والفروسية التي انطبعت عليها نفسه.

وشعره هذا حافل بالصورة القوية، والعزة النفسية، والموسيقى الصاخبة العذبة، والروح المتوثبة التي تعشق السيف والقلم، قال من قصيدة:

وضعوا السلاح إلى الصباح وأقبلوا يتكلمون بألسن النيــــران
حتى إذا ما الصبح أسفر وارتمت عيناى بين ربي وبين مجان
فإذا الجبال أسنة: وإذا الــــوها د أعنة، والماء أحمر قان

وصفه: كثيرا ما يصف البارودي ويتناول في وصفه الطبيعة والآثار المصرية، كما يتناول مشاهد مختلفة من مرئياته كالليل، والعصفور على الغصن ، والخيل، وهو في وصفه يعتمد على الصورة التي يزخرها الخيال ويخرجها إخراجا مصنعا تلمس فيه روح القديم وفرو الجديد، وتعجبك فيه الامتدادة الرحبة في التركيب الذي يتألق ويغني.

رثاؤه: رثاء البارودي هو كلام العقل الذي يدعو إلى الصبر، والذي يحاول الكشف عن حقيقة الوجود وحقيقة الحياة، ويتعظ بما هو مقدر على الناس وسائر الأحياء، وهكذا يأبى الشاعر أن يتحطم أمام الموت يأسا وضعفا، ويقف موقفاً رواقياً فيه تأمل واعتبار، وفيه تأوه مكبوت يتصدى لصولة الأقدار.

خلاصة القول ان البارودي الشاعر نبت نبتة جديدة على أرض قديمة، فجارى الأقدمين في أغراضهم وأساليبهم، وأفرط في المجازاة حتى ذكر الرسوم والأطلال والرعاة والقبائل، ولكنه كان في مجاراته لهم مطبوعاً، وقد وثب بالعبرة الشعرية من طريق الضعف والركاكة إلى طريق الصحة والمتانة.

وكأنما البارودي ممثل قدير لبس دور الشاعر البدوي فوفاه لغة وشعوراً، وزيا وحركة، فخلقه خلقاً جديداً، وجعل له تمثالاً من نفسه وحياته.

وتفنيد البارودي لم يصرفه عن فكرته التجديدية التي انبثقت من طبيعته وخلقه، فهو يرى أن الشعر مرآة العصر، ويرى أن الشعر ميت إذا بقي بعيداً عن حياة العصر والبيئة.

ولذلك أراد أن يجمع بين مجارة الأقدمين والتمشي مع المحدثين، فعالج في ديوانه بعض الأغراض المستحدثة، وعمد إلى أساليب مستقاة من حياة العصر. ومن ثم كان شعره قديم النفحة واللهجة، جديد النزعة، يصور شخصية صاحبه في اتجاهها العسكري، وآلامها النفسية، ويصور شيئاً من حركة النهضة الآلية لذلك العهد، ومن حركة النهضة القومية، ويصور بعض آمال الأمة وتعطشها إلى الحرية، ومحبتها للعدالة والمساواة، ويقوم في وجه العادات الشائنة، وهكذا كان الشعر البارودي جديداً وقديماً، وكان البارودي من رواد الشعر الحديث.

قصيدة آلام الاغتراب

قال البارودي وهو بسرنديب متشوقاً إلى وطنه:

هل من طيب لداء الحب أو راقى؟
 قد كان أبقى الهوى من مهجتي رمقا
 يشفي عليلاً أخاً حزن وإبراق
 حزن يراني وأشواق رعت كبدي
 حتى جرى البين فاستولى على الباقي
 أكلف النفس صبراً وهي جازعة
 يا ويح نفسي من حزن وأشواق
 ولا أنيس سوى همي وإطراقي
 لا في "سرنديب" لي خل ألوذ به
 في قنة عزّ مرقاها على الراقى
 أبيت أرعى نجوم الليل مرتقفا
 معقودة بوشاح غير مقلّاق
 تقلدت من جمال الشهب منطقة
 دون الهلال سراج لاح في طاق
 كأن نجم الثريا وهو مضطرب
 ولا عدتك سماء ذات أغداق
 يا "روضة النيل" لا مستك بائقة
 من سندس عبقرى الوشي براق
 ولا برحت من الأوراق في حلال
 يسري على جدول بالماء دفاق
 يا حبذا نسّم من جوها عبق
 عند الصباح قماريّ بأطواق
 قومى ومنبت أدابي وأعراقى
 قومي ومنبت أدابي وأعراقى
 أي أعيش بها في ثوب إملاق
 أي أعيش بها في ثوب إملاق
 أهلاً كراماً لهم ودّي وإشفاقى؟
 أهلاً كراماً لهم ودّي وإشفاقى؟
 تحدرت بغروب الدمع أماقى
 تحدرت بغروب الدمع أماقى

فيا بريد الصبا بلِّغ ذوي رحمي
وإن مررت على "المقياس" فاهد له
وأنت يا طائراً يبكي على فنن
أذكرتني ما مضى والشمل مجتمع
أيام أسحب أذيال الصبا مرحاً
فيا لها ذكرة شبّ الغرام بها
عصر تولى وأبقى في الفؤاد هوى
والمرء طوع الليالي في تصرفها
أني مقيم على عهدي وميثاقي
مني تحية نفس ذات أعلاق
نفسي فداؤك من ساق على ساق
"بمصر" والحرب لم تنهض على ساق
في فتية لطريق الخير سباق
ناراً سرت بين أرداني وأطواقي
يكاد يشمّل أحشائي بإحراق
لا يملك الأمر من نُجحٍ وإخفاقٍ

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- ديوان محمود سامي البارودي، تح: علي الجارم ومحمد شفيق معروف، دار العودة، بيروت 1998
- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر -بيروت، ج 15، دط
- الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مر: أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث-القاهرة، دط
- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتاب -القاهرة، ط1 2008
- حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي -الأدب القديم، دار الجيل -بيروت، ط1 1986
- حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي -الأدب الحديث، دار الجيل -بيروت، ط1 1986
- حنا الفاخوري، منتخبات الأدب العربي، المكتبة البولسية -بيروت، ط5 1970
- زكي مبارك، الموازنة بين الشعراء، عن مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة 2012
- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي -العصر الجاهلي، دار المعارف -القاهرة، ط11
- شوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر في مصر، دار المعارف -القاهرة، ط10
- فاطمة طحطح، الغربة والحنين في الشعر الأندلسي، مطبعة النجاح الجديدة-الدار البيضاء، ط1، 1993
- محمد الشحات، سرديات المنفى، أزمنة، ط1 2006

- يحيى الجبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي، دار مجدلاوي، ط1 2008
- يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف - القاهرة، ط3

الصفحة	الموضوع
01البسطة
02شكر و عرفان
04مقدمة
07الفصل النظري
08المبحث الأول: شعر المنفى (المفهوم والجزور)
08المطلب الأول: مفهوم النفي (المنفى)
11المطلب الثاني: جذور النفي (المنفى)
15المبحث الثاني: شعر المنفى (أنواعه وتأثيراته)
15المطلب الأول: أنواع شعر المنفى
16المطلب الثاني: آثار شعر المنفى وتأثيراته
19الفصل التطبيقي
20المبحث الأول: شرح المفردات ومظاهر الألم والحزن في القصيدة
20المطلب الأول: شرح مفردات القصيدة
21المطلب الثاني: الشوق والحنين في القصيدة
23المبحث الثاني: الإيقاع والصورة واللغة

23	المطلب الأول: الإيقاع الشعري في القصيدة
26	المطلب الثاني: الصورة الشعرية
28	المطلب الثالث: اللغة الشعرية في القصيدة
30	خاتمة
33	ملحق
39	قائمة المصادر والمراجع